كُبرى اليقينيات الكونية

وُجُودُ الخَالِقِ وَوَظِيفَةُ المَخْلُوقِ

مَعَ تَمْهِيدٍ بَالِغِ الأَهَمِيَّةِ فِي مَنْهَجِ البَحْثِ العِلْمِيِّ
عَنِ الحَقِيقَةِ عِنْدَ عُلَمَاءِ المُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ

تأليف

الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان

دار الفكر
دمشق - سورية

ثانيًا

أشراط الساعة

موعد قيام الساعة مجهول لا يعرفه من دون الله أحد :

والساعة من أسماء يوم القيامة ، ويوم القيامة هو الحادثة الكونية العظمى التي تطوى عندها السماوات والأرض وينتثر فيها هذا النظام الكوني أجمع .

فأما عن موعد هذا الحدث وزمنه والوقت الذي يكون فيه ، فذلك ماأخفى الله تعالى علمه عن الناس كلهم بما فيهم الرسل والأنبياء ، فليس لأحد ـ كائناً من كان ـ من سبيل إلى معرفة مابقي من عمر الدنيا .

ولقد صرح القرآن بهذا مكرراً ومؤكداً ، فقال مرة : ﴿ يَسألونَك عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرساها ، قُل إنَّما عِلمُها عِندَ رَبِّي لايُجَلِّيها لِوَقتها إلاَّ هوَ ، ثَقُلَت في السَّمواتِ والأرضِ ، لاتَأتيكُمْ إلاَّ بَغتَةً ، يَسألونَكَ كَأَنَّكَ حَفيٌّ عَنها ، قُل إنَّما عِلمُها عِندَ اللهِ ولَكِنَّ أكثرَ النَّاسِ لايَعلَمون ﴾ [الأعراف : ١٨٧] .

وقال مرة أخرى : ﴿ وَيقولونَ مَتى هذا الوَعْدُ إنْ كُنتُم صادِقينَ ، قُل إنَّما العِلمُ عِندَ اللهِ وإنَّما أنا نَذير مُّبينٌ ﴾ [الملك ٢٥ ـ ٢٦]

وأوضح النبي عليه الصلاة والسلام هذا في الحديث الصحيح المتفق عليه ، عندما سأله جبريل : « متى الساعة ؟ » حيث أجابه : « ماالمسؤول عنها بأعلم من السائل » .

فإن سمعت من يحدد للدهر عمراً معيناً أو يضع ليوم القيامة ميقاتاً محدوداً ، فاعلم أنه إما مغمور في جهل عميق بالدين ، أو هو كاذب دساس وضع بين عينيه سبيلاً معينة لحرب الإسلام والكيد له .

علاماتها الكبرى :

وأما عن علامات الساعة وأشراطها التي تكون بين يديها ، فقد حدثنا كل من الكتاب والسنة عن أشراط لها ، ولا شك أن جملة هذه الأشراط مما هو معروف من الدين بالضرورة فلا يجوز للمسلم أن ينكرها أو يمتري بها وإن كانت داخلة في المغيبات التي لم تقع بعد .

وأما النظر التفصيلي في كل منها فإن ذلك يقتضينا أن نقسم هذه الأشراط إلى قسمين :

فأما القسم الأول منها ، فثابت بالخبر المتواتر الذي يورث القطع واليقين . وأما القسم الثاني فمنقول إلينا عن طريق الآحاد .

ونحن لم نعرِّج في حديثنا هذا على القسم الثاني من الأشراط ، وإن كان الكثير منها وارداً بطريق صحيحة متفق على صحتها ، إذ هي لا تتجاوز على كل حال حدود الظنيات ، وإنما يشترط لضرورة الاعتقاد قيام الدليل القطعي كما قد علمت .

وإنما نحدثك عن القسم الأول منها فقط وهو الذي ورد به الخبر القطعي ، فكان الإيمان به ، بسبب ذلك واجباً .

١ ـ ظهور الدجال :

والدجال لقب له ، لُقِّب به لشدة تدجيله وكذبه ، ولقدرته الخارقة على تغطية الحق بالباطل ، وهو رجل يهودي الأصل ، من جهة المشرق ، فيدعي بين الناس الصلاح والاستقامة ، ثم إنه يدعي الألوهية ويتبعه فيما يدعو الناس إليه خلق كثير معظمهم من اليهود . ولقد فاضت بالأحاديث المتعلقة به جميع كتب السنة ، تحذيراً وإخباراً ووصفاً . ولننقل لك بعضاً يسيراً من هذه الأحاديث .

١ ـ روى الشيخان وغيرهما عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قام رسول الله ﷺ في الناس ، فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم ذكر الدجال ، فقال : « إني لأُنْذِرُكُموه وما من نبي إلا وقد أنذر قومه ، ولكني سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه . إنه أعور ، وإن الله ليس بأعور » .

٢ ـ روى الشيخان وغيرهما عن حذيفة (واللفظ لمسلم) أن عقبة قال له : حدثني ماسمعت من رسول الله ﷺ في الدجال فقال : إن الدجال يخرج وإن معه ماء وناراً ، فأما الذي يراه الناس ماء فنار تحرق وأما الذي يراه الناس ناراً فماء بارد عذب : فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه ناراً ، فإنه عذب طيب . فقال عقبة : وأنا قد سمعته ، تصديقاً لحذيفة .

٣ ـ روى مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد وغيرهم ، حديثاً طويلاً في شأن الدجال وما يكون في وقته نسوقه لك باختصار : عن النواس بن سمعان رضي الله عنه ، قال : ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة ، فخفض فيه ورفع ، حتى ظنناه في طائفة النخل[1] فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا فقال : « غيرُ الدجال أخوفني عليكم ، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم ، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه . والله خليفتي على كل مسلم ، إنه شاب قَطط عينه طافئة ، كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن ، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف ، إنه خارج خَلَّةً بين الشام والعراق[2] فعاث يميناً وعاث شمالاً ، ياعباد الله فاثبتوا » . قلنا يارسول الله وما لبثه في الأرض ؟ قال : « أربعون يوماً ، يوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم » قلنا : يارسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : « لا ، أقدروا له قدره » . قلنا : يارسول الله وما إسراعه في الأرض ؟

---

(١) أي حتى توهمناه أصبح على مقربة منا عند نخيل المدينة .

(٢) أي في طريق بينهما .

قال : « كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ، ويستجيبون له ، فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت . ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جَزِلتين رمْيةَ الغرض ، ثم يدعوه فيُقبل ويتهلل وجهه يضحك ؛ فبينما هو كذلك ! إذ بعث الله المسيح بن مريم ، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مُهرودتين[1] واضعاً كفيه على أجنحة ملكين ، إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفع تحدر منه مثل الجمان .. فيطلبه (أي يطلب الدجال) حتى يدركه بباب لدّ[2] فيقتله .. »[3] .

٤ ـ وروى مسلم وغيره عن أبي سعيد الخدري قال : قال لي ابن صائد واسمه صاف ، يهودي الأصل يمارس الكهانة ، كان يشاع في المدينة أنه ربما كان هو الدجال : مالي ومالكم ياأصحاب محمد ، ألم يقل نبي الله ﷺ إنه يهودي وقد أسلمت ، وقال لايولد له وقد ولد لي ، وقال إن الله حرم عليه مكة وقد حججتُ ، قال فما زال حتى كاد أن يأخذ فيّ قوله ..

☆ ☆ ☆

هذا وإن مجموع الأحاديث المختلفة الواردة في حقه ، تبين أنه ذو علامات فارقة كثيرة .

فهو يهودي الأصل ، ويكون ظهوره من جهة المشرق ، على خلاف في البقعة المعينة التي يكون خروجه منها ، وعينه اليمنى عوراء جاحظة وطافية بشكل منكر ، ولا يولد له ولد ، ولا يُمكَّن من دخول مكة والمدينة ، مكتوب على جبهته (كافر) يتبينها كل مسلم ، ويقتله عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام .

---

(١) أي بين ثوبين أو حلتين تضربان إلى الصفرة .

(٢) اللد بلدة معروفة بفلسطين قريبة من بيت المقدس .

(٣) انظر نص الحديث بطوله في مسلم : ٨ / ١٩٧ .

قال الحافظ ابن حجر : فإن قلت كيف يُجري الله الآيات الباهرة على يده من مثل إحياء الموتى ، وهو من الآيات العظام التي لا تكون إلا للأنبياء ؟!..

فالجواب : إنه على سبيل الفتنة للعباد ، إذ كان عندهم ما يدل على أنه مبطل غير محق في دعواه ، وهو أنه أعور مكتوب على جبهته كافر يقرؤه كل مسلم ، فدعواه داحضة ، مع وسم الكفر ونقص الذات والقدر ، إذ لو كان إلهاً لأزال ذلك عن وجهه ، وآيات الأنبياء سالمة عن المعارضة فلا يشتبهان .. ثم قال : وفي الدجال مع ذلك دلالة بينة ، لمن عقل ، على كذبه ، لأنه ذو أجزاء مؤلفة ، وتأثير الصنعة فيه ظاهر مع ظهور الآفة به من عور عينه ، فإذا دعا الناس إلى أنه ربهم ، فأسوأ حال من يراه من ذوي العقول أن يعلم أنه لم يكن ليسوّي خلق غيره ويعدله ويحسنه ، ولا يدفع النقص عن نفسه ، فأقل ما يجب أن يقول : يا من يزعم أنه خالق السماوات والأرض ، صور نفسك وعدّلها ، وأزل عنها العاهة . فإن زعمت أن الربا لا يحدث في نفسه شيئاً ، فأزل ما هو مكتوب بين عينيك[1] .

قلت : وقد علمت أن الله عز وجل جعل ظهور الدجال ، فتنة خطيرة كبرى للناس ، كما بين الرسول ﷺ وكما أنذر : ولو لم يكن قد مكنه الله من إحداث بعض الخوارق وجعل إليه مقاليد كثير من الخيرات والأرزاق ، لما كان فتنة .

إذا علمت هذا ، فاعلم أنه ليس للبحث العقلي أي سبيل إلى تحليل شخصية هذا الإنسان ودراسته ، من وراء هذا الذي أخبرت به النصوص الصحيحة . إذ إن المنفذ العقلي الوحيد إلى فهم أي شيء عنه إنما هو الخبر اليقيني ، ولولا ورود هذا الخبر لما تصورنا وجوده أصلاً فضلاً عن اعتقاده والإيمان بظهوره[2]

---

(١) فتح الباري : ١٣ / ٨٤ .

(٢) قد يتساءل البعضُ : لماذا لم يكن لقصة الدجال وخبره نصيب في القرآن ، وما السر في أن كل ما جاءنا من أخباره أحاديث عن الرسول فقط . =

أما عندما يحين وقت ظهوره ، وعلم ذلك عند الله عز وجل ، ويظهر للناس ، فعندئذ يتحول أمره من مسألة غيبية مجردة إلى واقع حسي ملموس ، وعندئذ يخضع أمره للنظر والتحليل شأن كل المشاهدات المحسوسة الأخرى .

☆ ☆ ☆

٢ ـ نزول عيسى ابن مريم :

وهو من أهم أشراط الساعة ، ومن أخطر الأحداث التي تكون بين يديها .

ومعنى نزوله ، أنه يهبط إلى الأرض ، بعد احتجابه عنها كل هذه الحقبة الطويلة من الدهر ، في مكان ما من ملكوت الله عز وجل ، وهو لا يزال يتمتع بحياته الأولى التي أحياه الله بها إذ كان في الأرض رسولاً نبياً . فيمكث في الأرض مدة من الزمن يقيم عليها دعائم العقيدة الإسلامية التي بعث هو والأنبياء كلهم لإقامتها ، وينفذ الشريعة الإسلامية الناسخة لجميع الشرائع السابقة والتي بعث بها

= والجواب : إنه لا يبعد أن تكون الحكمة من ذلك هي أن الدجال أهون على الله من أن يسجل اسمه في كتابه وكلامه القديم ، يتلى على ألسنة الناس في كل زمان ومكان . وقد درج القرآن في أسلوبه وإخباراته على عدم ذكر الأسماء ـ اللهم إلا أسماء الرسل والأنبياء ـ وبعض الطغاة الذين أرسلوا إليهم . أفيخص الدجال وحده بالذكر والتعيين ؟! ..

ومهما يكن فإن الخبر الصادق الذي يتحتم الاعتقاد بوجبه ليس محصوراً في القرآن فقط ، بل هو كما يكون في القرآن يكون في السنة أيضاً ، إذا وصل إلينا بطرق صحيحة متواترة .

وقد شاعت أخيراً (تقليعة) بين بعض المتفيقهين المنافقين الذين يظهرون ما لا يبطنون وهي أن أحدهم يمسك بحكم من أحكام الشريعة المجمع عليها ، ثم يطالبك أن تأتيه بنص عليه في القرآن ، والقرآن فقط ، وإلا فهو لا يعتد به ! ..

ومن أجل هذا فإنك تجد الواحد منهم يسأل مثل هذه الأسئلة وهو لا يؤدي صلاة ولا صوماً ولا يلتزم شعيرة من شعائر الإسلام . إذ كان عذره أن القرآن لم يتبرح له كيفية الصلاة والصيام وبقية الأحكام ! ..

ومقتضى منطق هؤلاء أن يتركوا القرآن الذي تنزل على محمد ﷺ ، ولا يعتمدوا إلا على قرآن ينزل على كل منهم مباشرة ، فذلك أقطع للشك وأنفى للريبة ...

محمد عليه الصلاة والسلام ، دون أن يؤيد خلال ذلك بوحي جديد من الله عز وجل[1] .

وبذلك تعلم أن نزوله ، لا يناقض كون محمد عليه الصلاة والسلام هو خاتم الأنبياء وآخرهم ، كما لا يناقض أن شريعته ناسخة لجميع الشرائع وباقية إلى يوم القيامة .

ثم إن الدليل على ذلك ثابت بيقين في كل من الكتاب والسنة : أما دليل الكتاب فإليك منه هاتين الآيتين :

---

(١) كتب أحد الوهابيين من خصوم السلف ، في تعليق له ، بمناسبة هذا البحث ما نصه : « هذا صريح في أن عيسى عليه السلام يحكم بشرعنا وبمقتضى الكتاب والسنة ، لا بغيرها من الإنجيل أو الفقه الحنفي ونحوه » ! ..

إنك لترى أنه يقرر ، بصريح العبارة ، من خلال سخريته بالفقه الحنفي أنه غير التريعة الإسلامية ، وإنما هو شيء آخر كالذي يسمى اليوم بالتوراة أو الإنجيل ! .. فأبو حنيفة رحمه الله ، إنما دعا الناس ، بزعمه ، إلى نبذ الشريعة الإسلامية والأخذ بفقهه بدلاً منها !! ..

فهل من مسلم يتمتع بشيء من تقوى الله تعالى يتفوه بهذا الكلام الظالم الوقح ، في حق سلف هذه الأمة وإمام من أئمة علماء المسلمين ؟!

وإنا لنعلم أن هذا الرجل ، أو ناشر الكتاب الذي ورد فيه الافتراء العجيب ، وقد تلقى مذكرات كثيرة من علماء المسلمين في أنحاء العالم الإسلامي ، تنبه إلى ضرورة شطب هذا اللغو ، فما أصاخ واحد منهما إلى التذكير بهذا الحق وأبى كل منهما إلا أن يجعل من نفسه مطية ذلولاً للعصبية الشنعاء .

فالله المستعان أن ينتصر لعباده الذين ما آلوا جهداً في استخراج أحكام الشريعة الإسلامية من الكتاب والسنة ، فكانت اجتهاداتهم هي حكم الله تعالى في حقهم ، وحق كل من استرشدوا بعلمهم ممن لم يسعهم إلا تقليد الأئمة وأتباعهم ، يستوي في ذلك ما أصابوا فيه من تلك الاجتهادات وما أخطأوا .

والله المستعان أن يعافينا من الضغائن والأحقاد تجاه سائر إخواننا المسلمين ، فضلاً عن السلف الصالح وأئمة المسلمين ، وأن يجعلنا من المتحققين بصفات أولئك الذين قال عنهم : « وَالَّذينَ جاؤوا مِنْ بَعدِهِمْ يَقولونَ رَبَّنا اغفِر لَنا وَلإخْوانِنا الَّذينَ سَبَقونا بالإيمانِ ، وَلا تَجْعَلْ في قُلوبِنا غِلاً لِلَّذينَ آمَنوا رَبَّنا إنَّكَ رَؤوفٌ رَحيمٌ ﴾ [الحشر : ١٠] .

الآيـة الأولى : قولـه تعـالى في سورة النسـاء : ١٥٧ ـ ١٥٩ . ﴿ وَقَـوْلِهِم إِنَّـا قَتَلنـا المَسيحَ عيسى ابنَ مَريَمَ رَسولَ اللهِ وَمـا قَتَلوهُ ومـا صَلَبوهُ وَلكِنْ شُبِّـهَ لَهُم ، وإنَّ الَّذينَ اختَلَفوا فيهِ لَفي شَكٍّ مِنْهُ ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إلاّ اتّباعَ الظَّنِّ ومَا قَتَلوهُ يَقينـاً ، بل رَفَعَـهُ اللهُ إلَيـهِ وَكانَ اللهُ عَزيـزاً حَكيمـاً . وإنْ مِن أَهْـلِ الكِتـابِ إلاّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيومَ القِيامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهيداً ﴾ .

ومحل الشـاهـد قولـه تعـالى : ﴿ وإنْ مِنْ أهلِ الكِتـابِ إلاّ لَيُؤْمِنَنَّ بـه قَبلَ مَوْتِهِ ﴾ والمعنى : لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه السلام إلا آمن به قبل موت عيسى عليـه السلام . فـالضمير في « قبل موتـه » عـائـد ، كما هو واضح من سيـاق الآيـات ، إلى عيسى بن مريم ، وهو نص على أنـه عليـه الصـلاة والسلام لم يمت بعد .

قال ابن كثير بعد أن شرح الآية على هـذا الوجـه : « ولا شـك أن هـذا هو الصحيح ، لأنه المقصود من سياق الآية في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك . فأخبر الله أنـه لم يكن الأمر كذلك ، وإنما شُبِّه لهم فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك ، ثم إنه رفعـه إليـه وإنه باق حيّ وإنه سينزل قبل يوم القيـامـة ، كما دلت عليـه الأحـاديث المتواترة التي سنوردها إن شاء الله قريبـاً ، فيقتل مسيح الضلالـة ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ، يعني لا يقبلها من أحد من أهل الأديان بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف ، فأخبرت هذه الآية الكريمة أنـه يؤمن بـه جميع أهل الكتـاب حينئذ ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم »[1] .

الآية الثـانيـة قولـه تعـالى في سورة الزخرف : ٥٧ ـ ٦١ : ﴿ ولمـا ضُرِبَ ابنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إذا قَومُكَ مِنهُ يَصِدُّونَ وَقَـالوا أآلهتنـا خَيْرٌ أم هوَ ، مـا ضَرَبُوهُ لَـكَ إلاَّ

(١) تفسير ابن كثير : ١ ـ ٥٧٧ .

جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ، إِنْ هو إلاَّ عبدٌ أَنْعَمنا عَلَيْهِ وَجَعَلناهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرائيلَ . وَلَو نَشاءُ لَجَعَلْنا منكُمْ مَلائِكَةً في الأرضِ يَخْلُفونَ وإِنَّه لَعِلْمٌ للسَّاعةِ فلا تَمتَرُنَّ بها واتَّبعونِ هذا صِراطٌ مُستقيمٌ ﴾ .

ومحل الشاهد في الآيات قوله تعالى : ﴿ وإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بها ﴾ فالضميرَ كما ترى عائد إلى ابن مريم الذي تتحدث الآيات عنه ، والمعنى : إن عيسى ابن مريم لدليل على قيام الساعة ، وإنما يكون كذلك بنزوله من السماء حَكَماً مقسطاً عادلاً ، وتدل له القراءة السبعية الأخرى : ﴿ وإِنَّهُ لَعَلَمٌ للسّاعَةِ ﴾ ، أي إشارة ورمز لها . ولا ينبغي أن يكون للآية أي معنى غير هذا ، وهو المعنى الذي اتفقت عليه كلمة المفسرين عامة .

وأما الأحاديث فكثيرة جداً ، وإليك بعضاً منها[1] .

١ ـ ما رواه الشيخان وغيرهما بطرق مختلفة كثيرة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكَماً عدلاً ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الحرب ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها ، ثم يقول أبو هريرة : واقرؤوا إن شئتم قوله تعالى : ﴿ وإِنْ مِنْ أَهلِ الكِتابِ إلاَّ لَيُؤمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَومَ القِيامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ﴾ .

٢ ـ ما رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال : طلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر ، فقال : ما تذاكرون ؟ قالوا : نذكر الساعة ، قال : إنها لن تقوم حتى تروا عشر آيات :

---

(١) إذا أردت الوقوف على الأحاديث الواردة في نزول عيسى عليه الصلاة والسلام ، فارجع إلى كتاب « التصريح بما تواتر من نزول المسيح » تأليف العلامة المحدث الشيخ محمد أنور شاه الهندي ، بتحقيق العلامة الشيخ عبد الفتاح أبي غدة .

الدخان[1] ، والدجال ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها[2] ، ونزول عيسى بن مريم ، ويأجوج ومأجوج ، وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم .

٣ ـ ما رويناه آنفاً عن مسلم وأبي داود والترمذي وأحمد وابن ماجه من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ ، بشأن الدجال ، وفيه : فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم ، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودَتَين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين ، إذا طأطأ رأسه قطر ، وإذا رفعه تحدَّر منه جمان كاللؤلؤ ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ، ونَفَسُه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لدٍ فيقتله ، ثم يأتي عيسى قوم قد عصمهم الله منه ، فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة ... الحديث .

٤ ـ ما رواه أحمد وأبو داود وابن جرير بطرق مختلفة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « الأنبياء إخوة لعلات[3] ، أمهاتهم شتىً ودينهم واحد ،

---

(١) قال جمهور المفسرين إنه الدخان الذي تحدث عنه القرآن في قوله تعالى : ﴿ فارتَقِبْ يَوْمَ تَأتي السَّماءُ بِدُخانٍ مُبينٍ ، يَغْشى النَّاس هذا عَذابٌ أليمٌ ﴾ [الدخان : ١٠ ـ ١١] وهو دخان يأخذ المؤمن كهيئة الزكام ويدخل في مسامع الكافر والمنافق حتى يكون كالرأس الحنيذ أي المشوي على النار ، من شدة الفيح والحرارة اللتين تنتابها ، وانظر تفسير ابن كثير : ٤ ـ ١٤٠ .

(٢) روى البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها : فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون فذاك حين ﴿ لا يَنفَعُ نَفْساً إيْمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أو كَسَبَتْ في إيْمانِها خَيْراً ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه . ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته ـ أي ناقته ـ فلا يطعمه ، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه ـ أي يصلحه ـ فلا يسقى فيه ، ولتقومن الساعة وقد رفع أحدكم أكلته إلى فيه فلا يطعمها .

(٣) قال ابن الأثير في النهاية : أولاد العلات الذين أمهاتهم مختلفة وأبوهم واحد أراد أن إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة .

وإني أولى الناس بعيسى بن مريم لأنه لم يكن نبي بيني وبينه ، وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه ، رجل مربوع ، إلى الحمرة والبياض ، عليه ثوبان ممصّران كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل : فيدق الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويدعو الناس إلى الإسلام ، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ، ويهلك المسيح الدجال ، فيمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون » .

فهذه أربعة أحاديث تنص على نزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام ، وهنالك أحاديث كثيرة أخرى لا مجال لسردها هنا ، والخلاصة أنها أحاديث متواترة عن رسول الله ﷺ ، من رواية أبي هريرة ، وابن مسعود ، وعثمان بن أبي العاص ، وأبي أمامة ، والنواس بن سمعان ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، ومجمع بن حارثة ، وحذيفة بن أسيد رضي الله عنهم .

وقد وقفتَ قبل ذلك على نصوص الآيات المحكمة من كتاب الله تعالى الناطقة بمثل ما دلت عليه هذه الأحاديث ؛ فمن أجل ذلك تم إجماع المسلمين على الاعتقاد بنزول عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام في آخر الزمن ، على النحو وبالصفة التي ذكرها لنا رسول الله ﷺ ، وأنه إنما رفع ببدنه حياً إلى السماء كما بين الله عز وجل صريحاً في محكم بيانه .

☆ ☆ ☆

إذا تبين لك هذا ، فلا بد أن نعرض لمسألتين تتعلقان بهذا الصدد ، نكشف فيهما عن وجهة الحقيقة العلمية التي لا ينبغي أن يصار إلى غيرها .

المسألة الأولى : أن بعض الكاتبين من تلامذة مدرسة الشيخ محمد عبده أنكروا أن يكون عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام قد رفع بجسمه إلى السماء ، قالوا : وإنما هو ارتفاع الروح أو الدرجة ، ومن ثم فإنهم أنكروا نزوله إلى الأرض

أيضاً قرب قيام الساعة . وقد كتب في ذلك الشيخ محمود شلتوت مقالاً في مجلة « الرسالة » عدد ٤٦٢ أعقبه بكتابة مقالات أخرى في نفس المبحث ؛ وكان الذي انتهى إليه في مقالاته تلك ، هو تأويل الآيات الواردة ، والإعراض عن الأحاديث الكثيرة الثابتة ، زاعماً أنها أحاديث آحاد لا يصلح أن يقام عليها الاعتِقاد !! .

ولعلك قد قرأت ما كتبناه عن موقف العلم والعقل من المعجزة في بحث النبوات ، ووقفت إذ ذاك على قصة المدرسة التي قامت تنكر المعجزة دون أن تنكر الدين صراحة ، كما وقفت على سر انبعاث تلك المدرسة والظروف المكونة لها .

فإذا ذكرت ما قد قلناه إذ ذاك ، فاعلم أن إنكار نزول عيسى عليه الصلاة والسلام على الرغم مما ثبت في ذلك من الأدلة القاطعة ، ليس إلا صدى طبيعياً من أصداء تلك المدرسة وثمرة تتفق كل الاتفاق مع مبادئها .

بيد أن كلاً من الاضطراب والتخبط الأعمى اللذين لايبالي أن يقع فيهما دعاة تلك المدرسة وأتباعها ، يتمثل في محاولة التوفيق والجمع بين التمسك بالإسلام والتمسك بإنكار الخوارق والمعجزات !! ونحن لانشك في أنها محاولة من حيث الظاهر فحسب ، اتقاء لغضب المسلمين وتدرجاً في التسلل إلى موضع العقيدة من قلوبهم .

فهذا التخبط في محاولة التوفيق ، هو الذي جعل واحداً مثل الشيخ شلتوت لايبالي أن يكذِّب سبعين حديثاً مع رواتها ، وأن يخطئ عامة المفسرين لكتاب الله منذ عصر الصحابة إلى بزوغ مدرسة أستاذه ـ في سبيل أن تسلم له عقيدة إنكار الخوارق والمعجزات !!

والأعجب من ذلك أن يكذب الأحاديث بدون شاهد ، أو صورة شاهد ،

على الكذب !.. وأن يخطئ المفسرين بدون شاهد ، أو صورة شاهد على الخطأ !. نعم ثمة شاهد واحد ، هو شذوذ تلك الشرذمة التي قامت لأسباب ودوافع معروفة ، تنكر الخوارق والمعجزات . فهذا هو الشاهد الذي يسوغ امتلاخ نصوص السنة ودلالات الكتاب من جذورها والإعراض عنها جملة وتفصيلاً !!

أما السنة فقد نقلنا لك بعضاً يسيراً منها ، وقد وقفت على دلالتها الصريحة التي لا تقبل أي قال وقيل حولها .

وأما الكتاب فقد نقلنا لك من آياته آيتين كل منهما ذو دلالة واضحة على المعنى الذي أخذ به عامة المفسرين ، والصحابة الكرام .

غير أن هذه الشرذمة تركز كل اهتمامها على تأويل آية الرفع وجرّها إلى معنى الرفع بالروح أو رفع الدرجة ، تصوراً منها بأن طلاء التأويل إذا تماسك على نصوص الرفع ، فإنه يتماسك بعد ذلك بكل سهولة على نصوص النزول . وهيهات أن يتم لهم ذلك .

وأكثر مايتعلقون به ، في هذا الصدد ، كلمة « متوفيك » من قوله تعالى : ﴿ إذ قال اللهُ يَاعيسَى إنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرافِعُكَ إلَيَّ ومُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [آل عمران : ٥٥] ظناً منهم بأن متوفيك مرادفة لُمميتك !

ولم يقل أحد من علماء اللغة ذلك ، بل التوفي معناه أخذ الشيء وقبضه تماماً ، ومرادفه الاستيفاء . نقول : استوفيت حقي وتوفيته أي قبضته كاملاً . أما الإماتة التي هي أخذ الروح ، فهي نوع من أنواع التوفي الذي يشملها وغيرها . وإنما سرى الوهم إلى هؤلاء من كثرة استعمال عامة الناس هذه الكلمة بمعنى الموت فقط وغفلةً عن معناها الأصلي في اللغة .

ولو رجع هؤلاء إلى اللغة لرأوا أن التعبير بالتوفي عن الموت يأتي في الدرجة الثانية من الدلالة اللغوية ، كما يقول العلامة مصطفى صبري . ولذلك نص الزمخشري في كتابه أساس البلاغة على أن التعبير بالوفاة عن الموت من المجاز .

والذي ينفي احتمال المجاز في (متوفيك) في هذه الآية ، دلالة الآية القاطعة الأخرى التي لا مجال للتأويل فيها :

يقول الله عز وجل في سورة النساء : ١٥٧ و ١٥٨ : ﴿ وَقَولِهِمْ إِنَّا قَتَلنا المَسِيحَ عِيسَى ابنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَما قَتَلُوهُ وَما صَلَبُوهُ وَلكن شُبِّهَ لَهُم وإِنَّ الَّذِينَ اختَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَالَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَما قَتَلُوهُ يَقِيناً بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إليه وَكانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾ .

فأما عقل العاقل الذي يفهم الكلام العربي عن طريق قواعد اللغة العربية ودلالاتها اللغوية ، فهو يفهم من قوله تعالى : ﴿ وَما قَتَلُوهُ يَقِيناً بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ ﴾ أن الله عز وجل أخفى نبيه عنهم بأن رفعه إلى سمائه فلم يقعوا منه على شيء يقتلونه أو يصلبونه . يدلك على هذا المعنى ألفاظ الآية ودلالاتها اللغوية ، وضرورة التقابل الذي ينبغي أن يكون بين ماقبل بل ومابعدها . فليس لك أن تقول ، وأنت عربي : لست جائعاً بل أنا مضطجع ، وإنما تقول : لست جائعاً بل أنا شبعان . وليس لك أن تقول : ما مات خالد بل هو رجل صالح ، وإنما تقول : بل هو حي . وليس لك أن تقول : ما قتل الأمير بل هو ذو درجة عالية عند الله ، لأن كونه ذو درجة عالية عند الله لاينافي أن يقتل ، وإنما تأتي بل لإبطال ما قبلها بدليل مما بعدها .

لا جرم إذاً أن معنى الآية : ما قتله اليهود كما زعموا بل إن الله استلبه من بينهم ورفعه إلى السماء ، ولكن الشيخ شلتوت يأبى إلا أن يكون المعنى : ماقتلوه ، بل رفع الله درجته إليه ، وذلك على الرغم من أنف القواعد العربية ودلالاتها وعلى الرغم من أنف العرب والمفسرين كلهم .

ولك أن تسأل أمثال الشيخ شلتوت ، وهم يذهبون في تفسير الآية هذا المذهب : فما معنى « إليه » في الآية مادام أن الرفع هو رفع الدرجة ؟ هل المعنى أن الله جعله إلهاً مثله ؟!

إذ لا معنى لقولك : إن الله رفع مقام فلان إليه ، إلا أنه قد جعله في مرتبته ؟!

ثم ما معنى تقييد رفع الدرجة بحال قصد الصلب أو القتل ؟ أو لم يكن مرفوع الدرجة قبل ذلك ؟!

أسئلة لا جواب عليها ، إلا استجرار الكلام والتآويل التي لا معنى لها ، خدمة لما استقر في نفوسهم من مرض إنكار الخوارق والمعجزات ورحم الله من أبدع المثل القائل : بأن رجلاً نظر إلى حمار يافع فاشتهى لحمه ، فالتفت إلى من حوله قائلاً : ما أشبه أذنيه بأذني الأرنب[1] !

المسألة الثانية : ذلك الخوض السخيف الذي خاضته فئة طاب لها أن تبيع عقلها لمخطط وكيد إنكليزي مكشوف ، فقد قام قائمها يزعم أن الذي وعد الله بظهوره في الأرض هو مثيل عيسى وليس بعيسى نفسه ، وأنه إنما يظهر في الأرض دون أن ينزل من السماء ، وأنه هو ذلك المثيل الذي وعد الله بظهوره ، فهو المسيح الموعود . ثم راح يزعم أنه نبي ورسول مستقل مؤيد بتشريع ، ثم صاغ لنفسه وحياً كالقرآن ، ومضى يختلق لنفسه معجزات يزعم أنها مؤيدات له ، وابتنى لنفسه مسجداً في بلدة (قاديان) وسماه المسجد الأقصى ، وسمى بلدته : مكة المسيح

---

(١) يروي بعض علماء الأزهر ممن كانوا يلازمون الشيخ محمود شلتوت في أخريات أيامه ، إذ كان يعاني في بيته من شلل في جسمه . يروون بأنه أحرق جميع ماكان يحتفظ به من الكتب والأوراق التي سجل فيها بعض الآراء الشاذة وفي مقدمتها مسألة عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام وأشهدهم بأنه تاب إلى الله من الاعتقاد بها وأنه قد رجع إلى عقيدة جمهور المسلمين أهل السنة والجماعة .

وما أعجب قصة الإنسان ..! يتلبسه الغرور ، ويذهب في عناده كل مذهب ، ويتعامى عن الحق مادام سلياً قوياً . تأتيه النعمة من كل مكان ، فإذا داهمه مرض مطبق أو أطبق عليه كرب خانق ، ذل وتاب وآب !.. أفليس أكرم للإنسان أن يقدّر وصوله إلى هذه الحال قبل أن يصل بالفعل إليها ، فلا يتسبب في خداع الناس والتشويش عليهم . وكم من أناس تابوا وهم في سياق الموت ، ولكن وساوسهم المسجلة ظلت تفعل فعلها في عقول الناس من بعدهم .

وجعل مقبرة سماها مقبرة الجنة ، من دفن بها فهو من أهل الجنة وسمى أزواجه أمهات المؤمنين ، وراح يجمع من حوله الشيعة والأتباع بكل حيلة ووسيلة ، والاستعمار البريطاني من ورائه يدفعه ويغذيه ، ثم أعلن أن ظواهر الكتاب والسنة مصروفة إلى الاستعارات والكنايات والمجاز ، فأخذ يحرِّف كما يشاء في شرع الكتاب والسنة وأحكامها . وكان من جملة هديه في ذلك ، أن الجهاد موضوع ومنسوخ خاصة بالنسبة للإنكليز وذلك لموقفهم النبيل من المسلمين وحسن رعايتهم لهم !!

ولم يزل على حاله تلك ، يدعي النبوة ويكذب على الله وأنبيائه ، ويضع نفسه للناس موضع المسيح عيسى ابن مريم ، إلى أن رماه قضاء الله تعالى بالهيضة (داء الكوليرا) ومات في بيت الخلاء ساقطاً على وجهه في أتعس حالة وأقبح منظر ، وكانت موتته هذه عبرة لأولي الأبصار .

ذلك هو غلام أحمد القادياني الذي ولد عام ١٢٥٢ ومات عام ١٣٢٦[1] ولقد أخذ خلفاء هذا الدجال المضل يحاولون نشر ضلالات نبيهم هذا في مختلف البلاد ، ولابد أنك قد سمعت عن شراذم منهم هنا وهناك ، وعما توليهم بريطانيا في بلادها من الرعاية والتكريم . فإن لهم هناك معابد خاصة بهم ، ولهم ما لا يملكه غيرهم من أوجه النشاط لتغذية إفكهم وضلالاتهم !!

وليس غرضنا من إطلاعك على هذه الضلالة مناقشتها وعَرضُ الدلائل على بطلانها ، فسخفها واضح بيِّن لا يحتاج إلى بحث أو نظر ؛ ولكني قصدت أن تعلم كيف يقف عدو للإسلام من وراء كل نحلة أو دعوة باطلة ، ولقد برعت بريطانيا في الكيد للإسلام من وراء هذا الطريق كما لم يبرع في ذلك أي عدو آخر

---

(١) انظر كتاب التصريح بما تواتر من نزول المسيح ، وما كتبه في هذا الصدد محققه الأستاذ الجليل عبد الفتاح أبو غدة نقلاً عن الإمام الكشميري في مقدمة كتاب (الإسلام في حياة عيسى عليه السلام) ص ٣٨ ـ ٤٣ .

للإسلام والمسلمين . ولو وقفت على تاريخ هذه الدولة وماضيها مع المسلمين عامة ومستعمراتها الإسلامية خاصة ، لوقفت من ذلك على أمر يثير الدهشة في الرؤوس ويبعث العبرة في العقول .

٣ ـ ظهور يأجوج ومأجوج :

يأجوج ومأجوج : هاتان الكلمتان عبَّر بهما القرآن عن أمة كبيرة من الناس يفاجأ بها العالم تنسل إليه من كل حدب ، تنشر الفساد والدمار في الأرض ، على نحو مذهل وبطريقة مرعبة .

غير أن القرآن أخفى عن الناس ميعاد ظهورهم . فلا يعلم أجل ذلك أحد إلا الله عز وجل . ولكنه نص على أن ظهورهم علامة من العلامات الكبرى لاقتراب الساعة .

وهذا هو إخبار القرآن عنهم :

﴿ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ واقتَرَبَ الوَعدُ الحقُّ فَإذا هِيَ شاخِصَةٌ أبْصَارُ الَّذِينَ كَفَروا ، ياوَيْلَنا قَدْ كُنَّا في غَفلَةٍ مِن هذا بَل كُنَّا ظالِمِين ﴾ [الأنبياء : ٩٦ ـ ٩٧] .

﴿ .. قالُوا يَا ذَا القَرْنَيْنِ إنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ في الأَرْضِ ، فَهَل نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أن تَجْعَلَ بَيْنَنا وَبَيْنَهُم سَدّاً قال ما مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيرٌ ، فَأعينُونِي بِقوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدماً . آتُونِي زُبَرَ الحَديدِ حَتَّى إذا ساوى بينَ الصَّدَفَيْنِ قالَ انفُخُوا حَتّى إذا جَعَلَهُ ناراً قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً . فما اسطاعُوا أن يَظْهَرُوهُ وَما استطاعُوا لَهُ نَقْباً قالَ هَذا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإذَا جاءَ وَعدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكّاءَ وَكانَ وَعدُ رَبِّي حَقّاً ، وتَرَكْنا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ... ﴾ [الكهف : ٩٤ ـ ٩٩] .

أما أخبار السنة عنهم ، فتأكيد للذي أخبر عنهم القرآن .

روى الشيخان وغيرهما عن زينب بنت جحش أن النبي ﷺ ، استيقظ من نومه وهو يقول : « لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه . وعقد الراوي بيده عشرة . قلت : يارسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم إذا كثر الخبث » .

وروى مسلم والترمذي وابن ماجه وأحمد عن النواس بن سمعان الحديث الطويل الذي ذكرناه آنفاً والذي فيه خبر الدجال وعيسى بن مريم ، وفيه : « ويبعث يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ، ويمر آخرهم فيقولون : لقد كان بهذه مرة ماء ... » .

وروى مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه ، قال : طلع علينا النبي ﷺ ونحن نتذاكر ، فقال : ما تذاكرون ؟ قالوا : نذكر الساعة ، قال : إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات : الدخان ، والدجال ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى بن مريم ، ويأجوج ومأجوج ، وثلاث خسوف : خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار تخرج من أرض اليمن تطرد الناس إلى محشرهم .

فتلك الآيات وهذه الأحاديث ، ذات دلالة قاطعة على أن من أشراط الساعة ظهور هذه الأمة التي تعثو فساداً في الأرض . فكان الإيمان بذلك من الضروريات التي لابد منها للإيمان بالكتاب والسنة .

أما علم ما وراء ذلك من التفصيلات المتعلقة بصفاتهم وكيفياتهم ، وتفصيل أخبارهم ، فلا مطمع ، في باب العقيدة ، في الوصول إلى شيء من ذلك ، بل إن معظم ما ورد من تفاصيل أخبارهم وصفاتهم وأشكال جسومهم ، إنما تناقله الناس عن طريق أحاديث واهية أو منكرة أو باطلة .

وخير من الخوض في ذلك أن نقف عند حدود الدلالة القطعية التي ثبتت بصريح القرآن وصحاح الأحاديث الواردة عن الرسول عليه الصلاة والسلام ، ثم تنتظر في معرفة الكنه والتفاصيل ، الواقع الزمني نفسه ، فهو الذي سيتكفل وحده بشرح كل شيء عنهم . وذلك لأن يأجوج ومأجوج غيب من الغيوب التي أخبرنا الله عن ظهورهم بين يدي الساعة ، وهو أمر لم يظهر بعد ، فهو لا يزال في تلافيف الغيب لم يتبدَّ لنا منه إلا الإخبار عنه بشكل إجمالي . إذ لا عبرة بالتفصيلات التي وصلتنا بالطرق الباطلة أو الواهية . وإذاً فلا معنى للخوض في شيء لا سبيل إلى العلم بتفصيلاته اللهم إلا سبيل الرجم بالغيب .

ومن هنا تعلم ، أن ماقد يقوله بعضهم استنتاجاً واجتهاداً ، من أن يأجوج ومأجوج هم التتر والمغول الذين جاؤوا وانتهوا ـ كلام لا معتمد له ولا داعي إليه ، بل هو فيما يبدو مخالف لنصوص الأحاديث الصحيحة الدالة على أنهم إنما يظهرون في وقت نزول عيسى بن مريم وبعد ظهور الدجال . وحسبنا أن نعلم بأن هذه الأمة إذا ظهرت فإن ظهورها سيتكفل بالتعريف بها للناس كلهم تعريفاً لا يشوبه شك أو احتمال ولا يحوج إلى استنتاج أو اجتهاد .

٤ ـ ظهور دابة الأرض :

ودابة الأرض تعبير قرآني عن حيوان نكل علم نوعه وشكله وهيئته إلى الله عز وجل ، يظهر للناس قبيل الساعة يكلمهم ويصف كلاً منهم بصفته من الإيمان ، أو الكفر ، فيَسِمُ الكافر بوَسْمِ الكفر ، ويطبع المؤمن بطابع الإيمان . وحينئذ لا تنفع نفساً إيمانها إن لم تكن قد آمنت من قبل .

يقول الله عز وجل في ذلك : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ القَوْلُ عَلَيْهِم أَخْرَجْنَا لَهُم دابّةً مِنَ الأرضِ تُكَلِّمُهُم أنَّ النّاسَ كانوا بِآيَاتِنا لا يُوقِنُون ﴾ [النمل : ٨٢] .

وروى مسلم بسنده عن عبد الله بن عمرو ، قال : حفظت من رسول الله

ﷺ حديثاً لم أنسه بعد ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريباً » .

وروى مسلم أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : بادروا بالأعمال ستة : طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال ، والدابة وخاصة أحدكم وأمر العامة .

وروينا آنفاً عن مسلم وغيره حديث : ماتذاكرون ؟ قالوا : نذكر الساعة ، قال : إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات وعدَّ منها دابة الأرض .

٥ ـ طلوع الشمس من مغربها :

وهو من الآيات التي تفردت السنة بذكرها صراحة ، روى البخاري عن النبي ﷺ حديثاً طويلاً عن أشراط الساعة ، وفيه ، لاتقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها . فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً .

ومثل ذلك ما رويناه من الأحاديث السابقة في معرض الحديث عن دابة الأرض .

ومعنى طلوع الشمس من مغربها أنها تظهر للناس طالعة من جهة المغرب في وقت الصباح بدلاً من ظهورها لهم من ناحية المشرق كما كان دأبها كل يوم . وذلك كأن يجعل الله دوران الأرض عندها في اتجاه آخر يتراءى معه للناس انعكاس سير الشمس بالنسبة إليهم[1] .

☆ ☆ ☆

(١) ليس هذا تقريراً لبيان الوسيلة التي بها تخرج الشمس من مغربها ، فعلم ذلك عند الله . ولكنه =

فهذه الأمور ، من أهم أشراط الساعة التي وصل إلينا علمها عن طريق الخبر الصادق ، وأجمع المسلمون على ضرورة الاعتقاد بها .

وللساعة أشراط وعلامات أخرى تحدث عنها النبي ﷺ في كثير من أحاديثه ، وكثير منها ظهر وتحقق كما أخبر ولا مجال لذكرها والتوسع في الحديث عنها في هذا المقام .

والله تعالى أعلم

= تقريب لوسيلة الإيمان به ، وتذكير للقارئ بأن ذلك لا يخرج عن كونه تغييراً لبعض مادرج عليه الكون ـ بمشيئة الله تعالى ـ من نظام وترتيب .

أما البحث في دوران الأرض أو سكونها فليس شيء من ذلك داخلاً تحت مايجب الاعتقاد به ديناً ، فمن ارتاب في كونها ساكنة أو متحركة لا يلحقه بسبب ذلك أي إثم ، وإنما هو من جملة الأمور الدنيوية الكثيرة التي وكل الله سبيل الكشف عنها إلى ما أوتيه الإنسان من طاقة البحث والنظر . وأياً ما كشف عنه الدليل العلمي القطعي في مثل هذه الأمور الخاضعة للتجربة والحس ، فلا مناص من اعتماده والإيمان به . أما من لم تنكشف له حقيقتها بالدليل العلمي المباشر فخير له أن يكل علم ذلك إلى الله عز وجل .